ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

اللغة الشعرية لنزار قباني: تجليات العنف الرمزي في السياق الاجتماعي

د. إيهاب الأخضر

جامعة تونس: المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي بئر الباي

Lak.iheb88@gmail.com

الملخص

غالبًا ما تهتم الأبحاث حول العنف الرمزي ضد المرأة بالأبعاد الاجتماعية والنفسية، وتتجاهل أحيانًا العوامل التي تؤثر على السلوك البشري أو تقلل من أهميتها، والتي قد يُنظر إليها على أنها ذات تأثير محدود. ومع ذلك، يشير الفهم الشامل للأطر الفكرية التي تحدد توزيع الأدوار الاجتماعية إلى أن هذه العوامل التي غالبًا ما يتم تجاهلها تشكل أساسًا لظهور العنف ضد المرأة. ومن بين هذه العوامل الشعر، الذي يمكن أن يسهم بشكل خفي في إدامة العنف الرمزي ضد المرأة. لقد اخترنا الشاعر نزار قباني دراسة حالة، إذ يكشف شعره عن إطار أساسي يتضمن عناصر من العنف الرمزي ضد المرأة. سيفحص هذا البحث المكونات الرئيسية لهذا الإطار الخفي، كما هو مفصل في عمله: المصدر الأنثوي للشر والتكوين التصويري للأنثى وتجسيد الذات الأنثوية، لنخلص أن نزار قباني استخدم العنف الرمزي كوسيلة للتعبير عن الصراعات الاجتماعية والثقافية، مستخدما بذلك لغة غنية بالصور والتشبيهات ساهمت في نقل تفاعلات معقدة بين الأفراد والمجتمع، مما يساهم في فهم أعمق للواقع الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: نزار قباني، المرأة، العنف، الرمزية، الشعر

Abstract

Research on symbolic violence against women often focuses on social and psychological dimensions, sometimes overlooking or downplaying the factors that influence human behavior, which may be perceived as having limited impact. However, a comprehensive understanding of the intellectual frameworks that define the distribution of social roles suggests that these often-ignored factors form the basis for the emergence of violence against women. Among these factors is poetry, which can subtly contribute to the perpetuation of symbolic violence against women.We have chosen the poet Nizar Qabbani as a case study for this exploration, as his poetry reveals a foundational framework that includes elements of symbolic violence against women. This research will examine the key components of this hidden framework, as detailed in his work: the feminine source

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

of evil, the pictorial composition of the female, and the embodiment of the feminine self. We conclude that Nizar Qabbani employed symbolic violence as a means to express social and cultural conflicts, utilizing a language rich in imagery and metaphors that contributed to conveying complex interactions between individuals and society, thereby aiding in a deeper understanding of social reality.
Key words: Nizar Qabbani, women, violence, symbolism, poetry

المقدمة

تكمن خطورة العنف الرمزي في كونه غير ملموس، على عكس العنف المباشر. ويعرفه الفيلسوف الفرنسي بيير بورديو بأنه "ذلك العنف الناعم غير المحسوس الذي لا يُدركه ضحاياه أنفسهم، ويمارس في جوهره بطرق رمزية بحتة من خلال الاتصال والمعرفة، أو بدقة أكثر، من خلال الجهل والاعتراف أو على الأقل بالعاطفة". من هنا، يمكن لهذا النوع من العنف أن ينتشر في المجتمعات دون أن تنتبه إلى وجوده، بل إن ضحاياه في كثير من الأحيان قد لا يدركون أن هناك عنفًا يُمارس ضدهم. من أكثر أشكال العنف الرمزي انتشاراً في المجتمعات العربية هو العنف الثقافي الرمزي الموجَّه ضد المرأة. يهدف هذا النوع من العنف إلى حث المجتمع على تبني السلطة الأبوية وإلزام المرأة بالرضوخ لهذه السلطة والتسليم لها. يُعد العنف الرمزي ضد المرأة، الذي يتمثل في الأدب، أحد أخطر أنواع العنف الثقافي الرمزي، نظراً للانتشار الواسع للأعمال الأدبية في المجتمع بجميع طوائفه، فضلا عن القوة التأثيرية التي يمارسها الأدب على الأفراد من خلال توجيه التفضيلات والرغبات وتشكيل السلوكيات وترك انطباعات معينة. يمكن أن يكون لخلفيتنا الثقافية تأثير ملموس على سلوكياتنا وأفكارنا. طالما أن الأدب يزوِّد خيال الأفراد بصور رمزية عنيفة ضد المرأة، فإن هذه المؤثرات قد تؤدي، مع مرور الوقت، إلى ظهور ظواهر سلوكية مادية ملموسة عنيفة، تتنوع بين الحرمان من الحقوق الطبيعية وممارسة الاضطهاد والإكراه التعسفي.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

ينشأ العنف الرمزي ضد المرأة في الأدب العربي الحديث عندما تُقدم المرأة بصورة نمطية سلبية تدعم التحيز الذكوري. هذه الصورة تحاول ترسيخ فكرة التفوق الذكري عن طريق تصوير المرأة على أنها أقل من الرجل جسديًا وأخلاقيًا ومهنيًا. وقد ظهرت هذه الصورة النمطية السلبية في النصوص الأدبية الإبداعية الحديثة في إطارين متناقضين؛ إذ يجسد الإطار الأول صورة المرأة الفاضلة، التي توصف بالعفة والجمال والحكمة والوفاء. بينما يرسم الإطار الثاني صورة المرأة الشريرة من خلال إضفاء صفات الإغواء والمكر والخداع عليها. وإذا تأملنا مجمل هذه النصوص، سواء التي ركزت على المرأة الفاضلة أو الشريرة، نجد أنها تعزز التمييز الجنسي والتحيز ضد النساء، وتدعم جميع الممارسات التي تحرم النساء حقوقهن، وتسعى بشكل فعّال إلى تقييد دور المرأة في الحياة.

عكس العنف الرمزي ذلك الخطاب المستتر الذي يتسلل إلى النص الشعري من خلال اللاوعي الجمعي للمبدع. بناءً على هذا المفهوم، تجسدت إحدى الشخصيات الشعرية الحديثة مدافعة عن المرأة العربية ضد المجتمع الأبوي المسيطر. ومن بين تلك الشخصيات، نُظر إلى نزار قباني، المعروف بشاعريته الرومانسية وقدرته على دمج الخيال الواسع مع اللفظ الجزيل، كوصفٍ مميز. احتلت المرأة مساحة واسعة في شعره، وغالبًا ما ادعى نزار أن نصوصه تحتوي على مبادئ تهدف إلى تحقيق العدالة والدفاع عن المرأة العربية واسترداد حقوقها المسلوبة.

من الجدير بالذكر أنه قد لاحظ عدد من النقاد العرب ازدواجية نزار في تعامله مع قضايا المرأة. وفي سياق ردّه على ادعاءات نزار بأن أشعاره تدعم حقوق المرأة العربية، قال: "هذه مزاعم تبرز في مشروع نزار قباني الشعري، الذي سيتم وصفه في ثقافتنا على أنه مشروع تحرري وتنويري، وسيتم استهلاكه على هذا الأساس، وهو انعكاس لحالة من العمى الثقافي في وعينا النقدي" (أبو علي ،2019، ص 15).

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

ولتحقيق أهداف البحث، اعتمدنا لمنهج الوصفي التحليلي إذ تم استخدام هذا المنهج لدراسة النصوص الشعرية لنزار قباني، حيث تم تحليل اللغة الشعرية والأسلوب الأدبي، من خلال اختيار مجموعة من القصائد التي تعكس العنف الرمزي وتأثيره على المجتمع.

1. نزار قباني والمرأة: دراسة في التأصيل الرمزي للشر:

تقوم فكرة الشر الأنثوي على اعتبار المرأة المصدر الرئيسي للشرور في الكون، إذ يُنظر إليها باعتبار الشر جزءًا لا يتجزأ من طبيعتها. هذا التصوّر يمثل أحد أشكال العنف الثقافي والرمزي الأشد ضد المرأة، إذ يُصوِّرها رمزا للجنس ودعوة للشهوة ورسولا للشيطان، أو بوابة للجحيم وأساسا للرذيلة، والمكان الخطير الذي يجب على الرجل تجنبه. تُظهِر هذه الفكرة البصمة الذكورية في توليدها ونشرها، إذ تُظهر الرجل رمزا للخير والبراءة والنماء، بينما تُصوَّر المرأة رمزا للشر والمخادعة والخبث. إذا حاولنا تتبع أصول هذه الفكرة، لوجدناها متجذرة في الطبقات الثقافية العميقة، متصلة بشكل مباشر بالدين، إذ كانت تُعَد المرأةّ مسؤولة عن الخطيئة الأولى بسبب الأكل من الشجرة المحرمة.

إن تناول مسألة العنف الرمزي المتجسد في فكرة إسناد صفة الشر إلى المرأة، مما يجعل هذه الصفة جزءاً أساسياً من هويتها. يؤدي إلى تحقيق شعور داخلي لدى العديد من النساء بالكراهية الذاتية، بالإضافة إلى مشاعر الاغتراب والظلم. تبدو المرأة محاصرة بالشكوك والاتهامات دون ارتكاب أي ذنب، إذ يتحين الطرف المقابل الفرصة للانقضاض على تصرفاتها، لأن الشر يعتقد أنه سينبثق منها بكل صورة مكيدة أو غواية أو معصية لا محالة.

تمثلت فكرة تجذر الشر في المرأة في النصوص الأدبية الإبداعية من خلال صور متعددة، أبرزها الربط بين المرأة والشيطان. يُنظر إلى المرأة في هذه النصوص على أنها تلميذة الشيطان وأداته المطيعة، وهي مسؤولة عن تنفيذ خططه الشريرة التي تتمثل في إغواء الرجال وجذبهم

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

نحو الرذيلة. يصل التطرف في هذه الفكرة إلى حد أن البعض يعتقد أن الشر في المرأة أكثر دهاءً وفتكاً من الشيطان نفسه، حيث يُقال "الشيطان تعلّم من المرأة وليس العكس" (العبوشي ،2016، ص 110). ولا تغيب هذه الصورة السلبية عن قصائد نزار، إذ تعد قصيدة "**همجية الشفتين**" مثالاً واضحًا على ذلك (نزار، 2002، ص 220):

"أنا في السماء.. وأنت في الأرض..

غوري مع الشيطٌان.. لا أسف"

عندما يتحدث نزار في قصائده عن امرأة معينة، فإن حديثه يمتد ليشمل جميع النساء. هذا التعميم يكتسب شرعيته من نظرة الشاعر للفردية الحميمة التي رغم تنوعها تبقى واحدة. بمعنى أنه عندما يكتب عن امرأة محددة، فإنه في نفس الوقت يكتب عن كل نساء العالم. بناءً على هذا الفهم، يظهر أن هذا المقطع الشعري يتفاعل مع الثقافة الموروثة التي تتحامل على المرأة وتربطها بالشر من خلال تصويرها على أنها مرتبطة بالشيطان. يُظهر السطر الأول تباينًا بين مفهومين، إذ يعد "الرجل" هو الجوهري ويُمنح الصفات الإيجابية، بينما تعد "المرأة" الجزء السلبي ذا الأهمية الأقل. عبر الجزء الأول عن الذات الشاعرة أي الرجل الذي يوصف بالسمو والنبالة والخير، مما يتضح من تموضعه في السماء، بينما يمثل الجزء الثاني المرأة التي أسندت إليها الصفات المضادة، مما يظهر بتموضعها في الأرض. تُظهر الممارسات الثقافية للعنف الرمزي الموجه ضد المرأة من خلال تصويرها ككائن ذي طبيعة خائنة ومتجذرة في الشر. يُعزز هذا التصوير في التراث الأدبي إذ يُشار إلى أن خيانة المرأة تعود لأسباب عدة (العجلوني ،2016، ص 263)، أبرزها افتتانها بالماديات إذ يُزعم أن المرأة تضعف أمام الإغراءات المادية وتميل إلى من يمتلك الثروة، وتبرز هذه الفكرة بوضوح في قصيدة "**خاتم الخطوبة**" خاصة في الأبيات التالية (نزار، 2002):

تهنئني.. يا من طعنتِ الهوى

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

في الخلف.. في جانبه الأعزلِ

بائعتي بزائفات الحلى

ٍ بخاتمٍ في طرفِ الأنمل

بوهج أطواقٍ خرفيةٍ

وبالفراء، الباذخ، الأهدلِ

يتوافق هذا النص مع الثقافة التي تمارس عنفًا رمزيًا ضد النساء، ويمكن القول بأن تصوير المرأة ليس من صنع مؤلف منفرد، بل هو نتيجة الخطاب الثقافي المسيطر الذي يعزز نمطًا ثقافيًا شاملاً، يفرض معاييره داخل ثنايا الخطاب. تتمحور هذه المعايير حول تقديم صورة سلبية للمرأة على أنها خائنة متلهفة، يعبر الشاعر عن هذا المفهوم المُخطط له بوضوح، إذ تنأى المرأة عن الحبيب أو الرجل لصالح من يمتلك الثروات والمجوهرات. تكمن الخيانة هنا في تجسيد الحب عند المرأة كسلعة تُباع لمن يعرض أكثر، متجاهلة بذلك المشاعر وصدقها.

السبب الآخر الذي يدفع المرأة لممارسة الخيانة في الثقافة يتمثل في خضوعها لما يُعرف بـ "سلطة الشهوة"، إذ يصور الخيال الثقافي المرأة كائنا محكوما بشهواته، متجردًا تمامًا من أي قيم أخرى. نتج عن هذه الفكرة الثقافية مجموعة من الحلول للتخلص من هيمنة الشهوة على المرأة، وأهمها الحرص على إبقاء المرأة منشغلة بأعمال يدوية في غياب الرجل لتجنب سيطرة شهواتها عليها ودفعها لارتكاب الخيانة (العرود ،2007، ص 197). وهو ما تجسد في قصيدة نزار قباني والتي جاءت تحت عنوان "**مدنسة الحليب**" (نزار، 2002):

زوجك الطيب البسيط.. بعيد

عنك يا عرضه وأم بنيه

سواد العينين كي تشربيه..

يترك الدار خالي الظن.. ماذا؟

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

أو آذاك يا لئيمة.. حتى

في قداسات نسله تؤذيه؟

يأبى الحياء أن تدخليه

استغلي غيابه.. رب بيتٍ

لا تزال المرأة تعاني من ظاهرة العنف الرمزي حتى بعد تقدمها في العمر، وبالأخص فيما يتعلق بوصفها بالشر. في الواقع، يبدو أن حدة هذا العنف تزداد ضدها مع مضي الوقت. فقد ساهمت الثقافة العربية في تعزيز صورة نمطية سلبية عن المرأة المسنة، والتي وضحت معالمها في كتب أدبية تاريخية مهمة مثل "**العقد الفريد**". في هذا الكتاب، تُقدم أمثلة عنيفة فآخر عمر المرأة شر من أوله؛ يذهب جمالها، ويشتد لسانها، (بن نوار ،2015، ص 36). تعبّر هذه العبارة عن فكرة تسلط الشر على المرأة المتقدمة في العمر، إذ يزداد سوء أحلامها. ويبدو أن هذه الصورة النمطية السلبية قد رسخت في الذاكرة الثقافية للشاعر نزار قباني، إذ نادراً ما نجد نصوصاً يستحضر فيها الشاعر صورة المرأة المسنة إلا وتبرز فيها جوانب هذا العنف ضدها، ففي قصيدة "**إلى عجوز**" يقول (نزار، 2002):

تدعو.. وفي شفتيك تحترق امرأة

إني قرفتك ناهداً متدلياً

أنا لا تحركني العجائز.. فارجعي

لك أربعون.. وأي ذكرى سيئه

أخت الأزقة.. والمضاجع.. والغوى

والغرفة المشبوهة المتلألئه

شفةً أقبل أم أقبل مدفأه؟

يتناول النص الشعري قصة امرأة مسنة تحاول الإيقاع بالرجل عبر أساليب الإغواء، ولكن محاولتها تلك محكومة بالفشل منذ البداية. ويرى الشاعر، بتوصيف ابن عبد ربه، أن جمال هذه

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المرأة قد زال، فلم تعد تُعتبر جديرة بالاهتمام، في صورتها المتهالكة، التي وصفها الكاتب بأنها "جيفة متحركة". ويبدو أنّ الشر كامن فيها لأنها أصبحت أضعف في مواجهة رغباتها، فانقضى حياؤها وأصبحت شهواتها واضحة للعيان (علي، 2019، ص 44)، وتعبّر عيناه عن دعوة صريحة لكل رجل تهتم به. يُصور نزار في قصيدته "**البغي**" (نزار، 2002) المرأة المسنة بأبشع صور، حيث لا يقتصر خطرها وشرها على الرجال فقط، بل يمتد ليطال الفتيات، إذ يُرجع إليها مسؤولية إفسادهن ودفعهن نحو طريق الرذيلة (جهاد ،2000، ص 85).

كم صبايا، مثل ألوان الضحى

أفسدتهن عجوزٌ خطره

كوباءٍ.. كبعيرٍ نتن

مثل ميتٍ خارجٍ من كفن

حفرٌ في وجهها مرعبةٌ

تركتها عجلات الزمن

نهدها حبة تينٍ.. نشفت

رحم الله زمان اللبن..

يتسم النص الشعري بلهجة حادة تجاه المرأة المسنة، إذ يُحمّلها مسؤولية نشر أجندة تدميرية تهدف إلى تفتيت النظام الاجتماعي. يُصور النص هذه المرأة على أنها تسعى لتوريط الرجال وإغوائهم؛ غير أن تقدمها في العمر وفقدان جاذبيتها الجسدية قد عرقل قدرتها على تحقيق ذلك. ونتيجة لذلك، يُفترض أن شرها يمتد ليشمل النساء الأصغر سنًا، إذ تستغلّهن لتحقيق أغراضها الماكرة في الإيقاع بالرجال لممارسة الرذيلة.

2. نزار قباني والمرأة: من المثالية إلى القصور التكويني

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

أحد تجليات العنف الرمزي الموجه ضد المرأة يتمثل في تصويرها ككائن غير مكتمل بيولوجياً مقارنة بالرجل. من خلال هذا التصور، يفرض المجتمع الذكوري هيمنته على المرأة عبر غرس شعور بالدونية بداخلها، مما يجعلها تشعر بأنها بحاجة دائمة إلى إشراف الرجل وتوجيهه لحياتها وإدارة شؤونها. تعد هذه الفكرة نوعاً من الخداع الذي يُقنع المرأة بحاجتها المستمرة للرجل؛ ليحل مشكلاتها ويدعمها ضد التحديات التي يُفترض أنها لا تستطيع مواجهتها بسبب محدودية قدرتها العملية والجسدية، ويسترد حقوقها المسلوبة منها. هذا التصور له جذور عميقة في الثقافات الإنسانية القديمة. فعلى سبيل المثال، اعتبر الفيلسوف اليوناني أرسطو، أحد أبرز المفكرين في الحضارات الكلاسيكية، أن الطبيعة لم تمنح المرأة أي قدرة عملية يمكن الاعتماد عليها. ولذلك، قال إنه ينبغي أن تقتصر أدوارها على التدبير المنزلي والأمومة. بناءً على هذا الاعتقاد، كانت النساء مستبعدات من ميادين السياسة والثقافة، مما أدى إلى وضعهن في مرتبة متوسطة بين الرجل اليوناني الحر والعبد (حسني ،2013، ص 108).

لقد استخدمت الذكورية الأدوات الثقافية، ومنها الأدب، لترويج ونشر هذه الفكرة المتحيزة بهدف جعل المرأة تابعة للرجل وخاضعة لتحكمه، غير قادرة على منافسته في ميادين السلطة والحكم (البرقاوي & الكلباني، 2024، ص 110).

أحد أبرز تجليات هذه الفكرة في شعر نزار قباني هو تصور المرأة باعتبارها تابعة للرجل. هذا التصور يتجلى في نصوص متعددة من خلال عرض المرأة شخصية غير قادرة على إدراك مصلحتها الحقيقية، إذ تؤدي قراراتها إلى الإضرار بها أكثر من نفعها. إذا نظرنا إلى عناوين النصوص الشعرية المدروسة، سنلاحظ أن بعضها يعكس هذه الفكرة مثل "أفيقي" و"طائشة الضفائر" و"إلى ساذجة" و"مهرجة". العنوان الأول "أفيقي" يأتي بصيغة الأمر، مما يعكس طلبًا متعاليًا من الشاعر أو الرجل إلى المحبوبة أو المرأة، والذي يتضمن الرغبة في إعادة المرأة إلى

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

صوابها بعد أن تعرضت لما يشبه الغفلة. العنوان الثاني "طائشة الضفائر" يشير إلى حالة من خفة العقل، بينما يشير "إلى ساذجة" إلى غياب الحنكة عند المرأة، أما "مهرجة" فتحمل دلالة على عدم الاتزان والإضحاك (لمراسكي، وآخرون، 2021، ص 520).

على مستوى النص الشعري، نجد أن الغباء يعد صفة مفضلة لدى الشاعر عند محاولته التعبير عن الطبيعة التكوينية للمرأة، خاصة فيما يتعلق بقدرتها على اتخاذ القرارات الصحيحة والحفاظ على عقلها المنظم، كما يتضح في قصيدة "**مهرجة**" (نزار، 2002):

اطمئني.. فلن أزور نفسي

قدر النسر أن يظل طليقا

أبداً.. لن أكون قطاً أليفاً

تستضيفينه.. وثوباً عتيقا

تتعمق أسطورة "بجماليون" (Pumayyaton) في تسليط الضوء على جانب مهم من آمال الرجل تجاه المرأة، إذ نلاحظ من خلالها مدى التحيز الذكوري الذي يسمح للرجل بإعادة تشكيل المرأة وفق ما يشتهي، معتبرًا إياها غير مكتملة في طبيعتها الأصلية. تحكي الأسطورة عن النحات بجماليون، الذي فقد ثقته بالنساء وقرر الامتناع عن الارتباط أو الزواج من أي امرأة. لكنه وقع في حب تمثال امرأة نحتها ببراعة وأطلق عليها اسم "جالاتيا"، وتمنى من الإلهة فينوس أن تمنح التمثال الحياة، وهو ما حدث بالفعل. تعكس هذه القصة رؤية أن كيان المرأة غير مكتمل إلا بعد تدخل الرجل الذي يعطيها شكلها النهائي حسب رغبته. يبدو أن هذه الأسطورة ألهمت نزار قباني، إذ تتجلى في أعماله، سواء بشكل بارز أو خفي، كما نستطيع ملاحظة ذلك في قصيدته "**نحت**" (نزار، 2002)، إذ يستحضر الأسطورة بشكل مباشر وواضح:

زرعتُ النجَيْمات في ناظريكِ

ولم أبْخَل

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

أنا مَن هديثُ الرياحَ

..ِ إلى شعركِ المُرسل

وحين اكتملتِ.. ذهلتِ

عن الصانعِ الأوَّل

نسجت هذه القصيدة على غرار أسطورة بجماليون، مستفيدة من دلالاتها التعبيرية لتقديم رؤية معاصرة للأسطورة، التي تتمثل في "الرغبة في الهيمنة والسيطرة وإعادة تشكيل الشخص". ينطلق الشاعر من نزعة ذكورية ترى أن كيان المرأة ناقص ولا يكتمل إلا بتدخل الرجل الذي يمكنه إعادة تشكيلها وتزويدها بالصفات الأنثوية المتكاملة. في قصيدة "**امرأة من دخان**"، تتجلى أيضًا أسطورة بجماليون، فنلاحظ تجسيد فكرة الخلق الفني للمرأة بشكل واضح. يكشف النص عن دوافع ذكورية تتمثل في الرغبة في إعادة تشكيل المرأة وفق ما يشتهي الرجل. بينما استخدم بجماليون مهاراته في النحت لتحقيق رغبته، نجد نزار يسعى لتحقيق ذلك باستخدام مهاراته في الكتابة الإبداعية (بلغة شعرية) (خليفة،2022، ص264).

الجزء الثاني من النص يبرز صورة معينة للمرأة كما ترسخت في ثقافة الشاعر، حين يصفها بأنها "ضعيفة" و"طينية". يستثمر الشاعر الفضاء الكتابي بوضع نقاط بين هاتين الكلمتين للإشارة إلى وجود كلام مضمَر. يريد السطر الشعري أن يوضح أن "الحبيبة أي المرأة" هي كيان غير مكتمل وتكتسب كمالها فقط عندما يتدخل "الشاعر" في حياتها (حمود ،2019، ص 33). يلاحظ القارئ في بعض نصوص نزار الشعرية أن الشاعر غالبًا ما يتجنب اتباع الأسطورة فيما يتعلق بالرغبة في المرأة بشكلها المثالي، إذ لا يرغب في تحولها إلى امرأة حميمية. فالشاعر لا يبحث عن "جسد حي يتكلم ويتفاعل ويصرخ ويفكر" (راجح ،2020، ص 75)، إذ إن هذه الأمور تجعل صورة الأنوثة المثالية غير مكتملة. من منظور نزار، بمجرد أن

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

تصبح المرأة حميمية، تفقد كمالها المثال. لهذا السبب، يصفها بأنها ميتة في قصيدته "**إلى ميتة**".

3. تجليات التشيؤ: كيف يرى نزار قباني المرأة؟

إن مصدر العنف الموجه نحو المرأة يكمن في إنسانيتها وكونها قد تُخضع من خلال تحويلها إلى سلعة يستهلكها الرجل، فيصبح دورها محصورًا في إشباع رغباته الشهوانية. في عملية هذه التحوّلات، تُجرد المرأة من قيمتها الإنسانية إلى مجرد سلعة استهلاكية في نظر الرجل، مما يكرّس تبعيتها ودونيّتها ويقلل من وجودها. فلا يُنظر إليها بوصفها فرداً بشرياً متكافئاً وندا للرجل، بل كأداة أو وسيلة خاضعة لرغبات الرجال وسيطرتهم. ويمكّن للقراء المهتمين بالأدب العربي القديم، وخاصة الشعر، أن يلاحظوا هذه الفكرة القاسية بسهولة. ففي كثير من الأحيان، تُصوّر المرأة في هذه النصوص عنصراً فاعلاً في مغامرات الشاعر العاطفية ولهوه. ورغم أن بعض قد يرى هذا مجرد استمتاع أو استطلاع، إلا أن القضية تتعدى ذلك لتتحول إلى قناعة ثقافية تترسخ في الوعي وتشكل صورة المرأة في عقلية الرجل. هذا الأمر يُعد أحد الأسباب المحتملة التي أدت إلى ظهور نصوص مثل تلك لنزار قباني، التي تطبعت بهذا الطابع العنيف تجاه المرأة، نتيجة للتعرض المستمر لنصوص أدبية شعرية ونثرية تعزز هذه الأفكار (رفيقة ،2001، ص 102).

يعد التعامل مع المرأة بوصفها لعبة أو وسيلة للترفيه أحد أبرز أشكال تشيؤ الإنسان في المجتمعات السطحية. من هذا المنظور، تُعد المرأة في نظر بعض الرجال كأداة تُستغل، مثلما يُعطى الطفل لعبة لتسلية أو لملء الفراغ. لا يجد الرجال الذين يحملون هذا الفكر أي ضير في تجاهل الجانب الإنساني لدى المرأة، بما في ذلك مشاعرها وأحاسيسها، التي قد تتعرض للهدم بسبب هذا النوع من التسلية. يتجلى هذا المفهوم بشكل رمزي في القصيدة "**مصلوبة النهدين**"

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

(نزار، 2002)، إذ يُبرز العنف الرمزي المفروض على المرأة من خلال استغلالها ضمن نطاق اللهو واللعب.

عودي لأمك.. ما أنا بحمامةٍ

فغريزة الحيوان تحت قناعي

بلهاء.. تحت فمي وضغط ذراعي

مسمومةٍ تلقين في أسماعي

عوذت نهدك وهو كوم أناقةٍ

أن ترهنيه للذتي.. ومتاعي

تناول الشاعر في أعماله الشعرية مغامراته بشكل موسّع، مما يعكس جانباً آخر من العنف الرمزي الموجّه ضد المرأة. من الواضح أن الشاعر ينطلق في قصصه من تجاربه الشخصية، مستعيناً بأجواء خيالية وإطار عام مبتكر للشخصيات والحوار داخل النصوص، ما ينتج عنه تقديم المرأة ككائن ذي صبغة استهلاكية، بدلاً من كونها شريكة في التجربة العاطفية. تظهر المرأة في هذه السياقات كسلعة أو ملكية، مما يجسد نهجاً يركز على الاستهلاك الأنثوي، ويسعى لتعظيم المتعة الذكورية من خلال السيطرة على أكبر عدد ممكن من النساء كضحايا في إطار هذه المغامرات. يفتح هذا المقطع الشعري بنصيحة يقدمها الشاعر إلى الفتاة التي تحاول التمرد عليه، إذ يعكس أسلوبه نصيحة ضمنية تنطوي على عنف رمزي موجه ضد المرأة، يتمثل في تعاملها كشيء مادي (شرتح ،2017، ص 85). وهذا يتجلى في التقليل من شأنها بوصفها كياناً إنسانياً له وجوده وتوجهاته المستقلة. تصور المرأة هنا كشخصية ساذجة تفتقر إلى الاعتبارات الفكرية والاجتماعية، مما يرسخ صورة نمطية سلبية تمنحها صفات التشيؤ من منظور الشاعر. وبالتالي، وصفها في النص بـ "لعبة بلهاء" يدلل على شعور بالتفوق في كيفية التعامل مع المرأة، إذ يجعل السلطة كاملة في يده لتحديد نوع العلاقة وطبيعتها. يمكنه أن

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

يجعل العلاقة غير جدية، فتكون المرأة بالنسبة له مجرد وسيلة للترفيه والتسلية، يتركها عندما يقرر أنها لا تستحق الجهد والوقت. وهذا ما يتضح في النص عندما يقدم الشاعر نصيحته للمرأة بالابتعاد عنه، مما يعكس مدى السيطرة التي يمارسها الرجل في تحديد مصير العلاقة (طراد ،2019، ص 62).

تصور قصيدة "**إلى أجيرة**" (نزار، 2002) مثالاً واضحاً على استخدام نزار قباني للعنف الرمزي ضد المرأة، إذ يبرز ذلك من خلال تحويلها إلى سلعة. تقوم القصيدة على مبدأ استبدال التبادل السلعي بالتبادل العاطفي في تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة. ويستند ذلك إلى الترويج لفكرة أن المرأة ليست سوى مصدر للمتعة والترفيه للشاعر أو للرجل. وعندما يحصل الرجل على المرأة، يُشجع على استغلالها والاستفادة منها بأي وسيلة ممكنة، حتى ولو كان ذلك باستخدام المال.

بدراهمي!

لا بالحديث الناعم

حطمت عزتك المنيعة كلها.. بدراهمي

وبما حملت من النفائس، والحرير الحالم

فأطعتني..

وتبعتني..

من الملحوظ أن "تمثيل المرأة، في هذا السياق، ليس بجديد أو مبتكر؛ فهو صورة كرّسها الشعراء منذ حقبة الجاهلية، إذ يتجلى فيها تشيؤ المرأة وتسليعها وتحويلها إلى وسيلة للّهو. يتحدث الشاعر بوضوح عن تحويل المرأة إلى سلعة تُشترى بالمال، مما يسهم في خلق حالة من الترويض العملي والنفسي لدى المتلقي، خاصةً الرجال، الذين يتبنون الفكرة العنيفة المتمثلة في اعتبار المرأة شيئًا يُباع ويُشترى. في هذا النص، يتعمق الشاعر في ترسيخ هذه الصورة السطحية للمرأة، بوصفها كائنًا سهل الانقياد وقابلاً للخضوع بل وللاضطهاد، مستخدمًا سلسلة

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

من الألفاظ التي تدعم هذه الدلالات مثل: خادمة، ومرغوب بها، ومسيطر عليها (مسكين ،2017، ص 74).

_ الخاتمة

لطالما شغلت المرأة حيزًا كبيرًا في الشعر الذي كتبه نزار قباني. وقد أشار الشاعر إلى أن سبب تركيزه على المرأة يعود إلى رغبته في الدفاع عنها واستعادة حقوقها المغتصبة في المجتمع الأبوي. ومع ذلك، أظهرت الدراسات النقدية المعاصرة للشعر أن هناك تناقضًا خفيًا يظهر في شعر نزار، يتمثل في نوع من العنف الرمزي ضد المرأة، يظهر من خلال التقليل من شأنها واضطهادها. يتجسد هذا العنف في أحيان كثيرة بتصوير المرأة بشكل شيطاني أو وسمها بسمات تقلل من شأنها، مما يحيلها إلى مجرد كائن.

يبدو أن السبب وراء هذا التناقض الخفي يعود إلى تجذر النظام الأبوي في الوجدان الثقافي للشاعر، إذ تتسرب أفكار هذا النظام بشكل غير واعٍ ودون قصد إلى نصوصه الشعرية. وتكون هذه الأفكار أقوى في لحظات الإبداع الشعري عندما تكون مدركات الشاعر ضعيفة أمام تأثير المخيلة الفعّالة، فتتسلل هذه الأفكار إلى النص دون أن يدرك الشاعر ذلك. من المهم التأكيد على أن العنف الرمزي لا ينطبق على جميع قصائد نزار قباني. فبينما توجد نماذج في شعره تعكس هذا العنف وتبرز جوانب سلبية من العلاقات بين الجنسين، هناك أيضًا قصائد أخرى تحتفي بالمرأة وتعبر عن الحب والتقدير. هذه التباينات تشير إلى أن قباني كان لديه القدرة على تصوير المرأة بطرق متنوعة، مما يعكس تعقيد التجربة الإنسانية. لذا، فإن فهم العنف الرمزي في شعره يتطلب تحليلًا دقيقًا للنماذج المختلفة، حيث لا يمكن تعميم هذا المفهوم على جميع أعماله.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو علي، م. ت. (2019). مظاهر الحداثة عند نزار قباني. حوليات، 10، 9–19.
- البرقاوي، ب. ب. ب.، & الكلباني، ص. ب. س. (2024). الحمق والجنون في أشعار نزار قباني. مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 120. https://doi.org/10.35781/1637–000–097–005
- بن نوار، ب. (2015). الرحلات الاستشراقية وصورة الذات العربية: قراءة في صورة الحريم. رؤى فكرية، (2)، 30–45. https://doi.org/10.12816/0026584
- جهاد، ف. (2000). نزار قباني، الوجه الآخر. مؤسسة الانتشار العربي.
- حسني، ع. ا. (2013). حداثة التواصل (الرؤية الشعرية عند نزار قباني – دراسة في الإيقاع واللغة الشعرية). دار الكتب العلمية.
- حمود، م. ع. (2019). جدلية الحداثة/التراث في شعر نزار قباني (المرأة نموذجا). حوليات، 10، 27–48. https://doi.org/10.31377/haw.v10i0.320
- خليفة، م. ف. (2022). التجربة الشعرية بين الرؤيا وهاجس التغيير– نزار قباني اختيارا–. مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، 29(1، 1)، 258–276. https://doi.org/10.25130/jtuh.29.1.1.2022.13
- راجح، د. س. (2020). مقاربات نقدية معاصرة في شعر الحداثة. مركز الكتاب الأكاديمي.
- رفيقة، ب. (2001). المرأة ولعبة الحرف في شعر نزار قباني. دار محمد علي.
- شرتح، ا. ع. (2017). القباني وثقافة الصورة ومونتاجها الشعري – دراسة جمالية في الصورة. دار الخليج للنشر والتوزيع.
- طراد، ج. (2019). اللامألوف في تجربة نزار قباني. حوليات، 10، 57–64. https://doi.org/10.31377/haw.v10i0.322
- العبوشي، هـ. (2016). دراسة أسلوبية في شعر الحب عند نزار قباني. مجلة جسور المعرفة، 2(6)، 114. https://doi.org/10.35645/1711–000–006–010

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

- العجلوني، ن. خ. (2016). الرؤية الحداثية في شعر نزار قباني. مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، 13(2)، 267.
- العرود، ع. ا. (2007). جدلية نزار قباني في النقد العربي الحديث. المنهل.
- علي، م. (2019). النزعة الجنسية في شعر نزار قباني السياسي. سياقات اللغة والدراسات البينية، 4(1)، 1–66.
- لمراسكي، حسن، زاده، جواد، & شاهرخ، م. (2021). دراسة ظاهرة "النرجسية" من منظور الأسلوبية النفسية؛ (قراءة في غزليات نزار قباني). آداب الكوفة، 1(42)، 513–536.
- مسكين، ح. (2017). التعالق بين العنوان ونصه في عناوين نزار قباني الشعرية. الأثر، 71–76.
- نزار، ق. (2002). الأعمال الشعرية الكاملة – نزار قباني – مؤسسة نوفل.